الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⵖⵔⵉⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللغة والأدب العربي

التخصص : **لســـــانيات عامّة**

الدرس الصوتي عند الجاحظ في كتابه البيان و التبيين

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الليسانس في اللغة و الأدب العربي

إعداد الطالب:

_ مروى بوتغماس

_بشرى عمارة

إشراف الأستاذ:

_أ.حسين بوشنب

السنة الجامعية:

2021-2020

الإهـــــــــداء ....

الحمد لله نحمده و نشكره على ما أعان و أبان حمدا كثيرا مباركا.

أما بعد ، فإني أهدي ثمرة جهدي هذا إلى غاليتي ابنة قلبي مهجة الروح أمي أهديك كل معاني الحب و الوفاء ، إلى والدي معنى للعطاء.

إلى إخوتي: عبد الرحمان، نور الدين.

وأخواتي: سهيلة، سمية ودعاء، راجية من الله أن ييسر خطاكم أينما حللتم.

إلى رفيقتا الدرب: سهام و مروى.

إلى كل من أخذ بيدي ووجهني وسدد خطاي نحو الصواب، إلى الأستاذ المشرف الذي لم يبخل عنا بنصائحه وتوجيهاته.

بشرى

الإهـــــــــداء ....

الحمد لله الذي بعونه تتم الصالحات والصلاة و السلام على رسوله . أما بعد ، أهدي عملي هذا إلى من كان دعائها سببا في نجاحي و حنانها بلسم جراحي أمي الغالية التي طالما كانت إلى جانبي ، و إلى أبي ملاكي في الحياة الذي أطعمنا من خيرات الدنيا فالهم أذقه ثمرة من ثمار الجنة.

و إلى أخي محمد خليل و حبيبة قليبي و غاليتي و نصف حياتي فاطمة دام الله المحبة و الصداقة التي بيننا و إلى رفيقة المشوار التي قاسمتني لحظاته غاليتي بشرى

وإلى كل من ساهم في نجاح هذا العمل القيم و إلى الأستاذ المشرف الذي لم يبخل علينا بنصائحه .

مروى

مقدمـــــــــة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على اشرف المرسلين الذي أوتي معجزة البيان و جوامع الكلم ، و على آله و صحبه و سلم أجمعين ، و من اهتدى بهديه إلى يوم الدين .أما بعد ، إن اللغة العربية من أسمى اللغات و أشرفها كونها لغة نزول القرآن الكريم على نبي الله محمد صلى الله عليه و سلم ، المبعوث للناس أجمعين عربا و عجما في سبيل دعوتهم لاعتناق دين الإسلام من خلال تدبرهم آيات التنزيل المعجز. لقد أدى احتكاك الثقافات يبعضها البعض و اختلاط الألسن إلى ظهور اللحن في الكلام و تفاقم الأمر حتى وصل آيات القرآن الكريم هو ما دفع علماء اللغة الغيورين عليها إلى العمل و السعي من اجل درء خطر اللحن عنها، و من ثم توالت جهودهم في شتى الدراسات في سبيل صيانة اللغة العربية و تحقيق صيرورتها عبر الزمن، و باعتبار اللغة نظام قائم على مستويات فقد تعمدنا في هذه الدراسة الوقوف عند المستوى الصوتي كونه من أهم مستويات اللغة و قد شهد بدوره جهودا جبارة عند علماء اللغة عموما و العرب خصوصا و لعل اكبر و ابرز العلماء العرب المهتمين بدراسة هذا المستوى العالم العبقري الفذ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .

لقد برع الجاحظ كعادته في تناول مسائل صوتية هامة ، فلم يعرف عنه التقليد الأعمى لما توصل إليه سابقوه إنما جاد في مباحث صوتية لم يسبق لأحد من العلماء الالتفات نحوها و يبرز ذلك واضحا جليا في كتابه البيان و التبيين الذي كان زاخرا بعظيم فوائده

و بيان كلامه حتى انه لقي قبولا و استحسانا كبيرا من لدن علماء أجلاء خصوصا و انه توج بلقب رائد للبيان العربي ، و قد سلك الجاحظ في كتابه هذا منهجا خاصا بناءا على التجربة الشخصية و دقة الملاحظة التي استمر بها لبلوغ غاياته و التوصل إلى الحقائق المنشودة و كان لسعة اطلاعه و شغفه الكبير بالقراءة ظهور بارز في ذلك.

لقد شهدت الدراسات الصوتية إضافات جديدة من طرف الجاحظ لم تعرف مسبقا ، و لعل تلك السمات المميزة هي التي جعلت كتابه "البيان و التبيين " يحتل تلك المكانة الراقية بين كتب التراث العربي ، ومن هنا يأتي بحثنا هذا ليجيب على العديد من التساؤلات التي تراود ذهن القارئ و التي تتجلى فيما يلي :

_ ماهي إسهامات الجاحظ الصوتية ؟

_هل اكتفى الجاحظ بعيوب النطق الواردة في الدرس الصوتي قبله أم انه أضفى عليه جديد ؟

_ كيف تناول الجاحظ الجهاز الصوتي ؟

_ ثم ما علاقة كل ذلك بالبيان ؟

و انطلاقا من هذه الإشكاليات و للإجابة عليها وجب إقامة هذا البحث و عرض أهم جهود الجاحظ الصوتية ، و قد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتم تقسيمه كالآتي : مقدمة ، فصلين ، و خاتمة .

أما الفصل الأول المتمثل في الجانب النظري من البحث حمل عنوان "مفاهيم صوتية وجهود في الدرس الصوتي قبل الجاحظ " و فيه أدرجنا مجموعة عناوين استهلناها بعنوان : مفاهيم أولية لغويا و اصطلاحا لكل من مصطلح الصوت ، المخرج و الصفة ، ثم عرضنا عناوين الجهاز الصوتي ، عيوب النطق ، علاقة الصوت بالبيان ثم ختمنا الفصل الأول بعنوان الدرس الصوتي قبل الجاحظ و شمل جهود أبرز علماء اللغة في الدرس الصوتي .

أما الفصل الثاني فخصصناه بالجانب التطبيقي الموسوم ب "الجاحظ و الدرس الصوتي في البيان و التبيين " ، تطرقنا بداية إلى التعريف بالجاحظ و عرض أبرز المؤلفات التي جاء بها ثم اردفناه بعنوان التعريف بكتاب البيان باعتباره مادة البحث و أشرنا بعد ذلك إلى إسهامات الجاحظ الصوتية و نظرا لسعتها الضخمة لم يسعنا التطرق إليها جميعها فاكتفينا ببعضها ، ثم إلى جهاز النطق و أهم الأعضاء المساهمة في حدوث النطق حسب الجاحظ ، و من ثم عنوان الأصوات اللغوية عند الجاحظ وصولا إلى عيوب النطق التي لاحظها و جسدها في كتابه محاولا بعدها اقتراح حلول و لو سطحية لحدوث بيان الكلام و فصاحته .

و ختمنا بحثنا هذا بخاتمة مرفقة بأهم النتائج المتوصل إليها من خلال دراستنا بناءا على مختلف المراجع و المصادر .

و في الأخير و بغض النظر عن بعض الصعوبات و التحديات المواجهة في غمار البحث و إخراج هذا المجهود كان التعرف على شخصية هذا العالم العبقري و الخوض في كنف هذا العلم الجليل يدفعنا دوما إلى تلذذ ذلك و الشغف بمعارفه ، و منه نتقدم بجزيل الشكر و العرفان إلى كل من أسهم في مساعدتنا لإنجاز هذا البحث .

الفصل الأول

مفاهيم صوتية و جهود في الدرس الصوتي قبل الجاحظ

- مفهوم الصوت لغة و اصطلاحا
- مفهوم المخرج الصوتي
- مفهوم صفة الصوت
- الجهاز الصوتي
- عيوب النطق
- الصوت و البيان
- الدرس الصوتي قبل الجاحظ

إن اللغة ظاهرة إنسانية ، يعبر بواسطتها كل قوم عن احتياجاتهم و متطلبات حياتهم ، يكمن هدفها السامي في إنشاء تفاعل بين أفراد مجتمع ما من خلال توصيل كل ما يختلج بداخل الفرد من أفكار و مشاعر و أحاسيس للطرف الآخر بواسطة مفاهيم صوتية قد اتفقوا على تحملها دلالات معينة ، وهي بتعريف ابن جني : « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » [1]، أما ابن خلدون فيقول في حدّ اللغة :« اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، و تلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام ، فلابد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها ، و هو اللسان ، و هو في كل امة بحسب اصطلاحاتهم »[2]، كما يعرفها فرديناند دي سوسير قائلا : « نتاج اجتماعي لملكة اللسان و مجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ، ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة» [3] .

إضافة إلى هذا هي عند بعض المحدثين أمثال إبراهيم أنيس:« نظام عرفي لرموز صوتية يستغلها الناس في الاتصال بعضهم ببعض » [4] ، و انطلاقا من هذه التعاريف المقدمة يتضح مفهوم اللغة على أنها مجموع الصور اللفظية المخزنة في الأذهان فتجسد في قالب

1_ عثمان ابن جني، الخصائص ، ج1 ، تح : محمد على النجار ، ط2 ، دار الهدى للنشر ، لبنان ، ص486 -487.

2_ ابن خلدون ، المقدمة ، ج2 ، د.ت ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1933 ، ص295 .

3_ فرديناند دي سوسير ، علم اللغة العام ، تر : يوئيل يوسف عزيز ، آفاق عربية ، 1985 ، ص 27.

4_ إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، د.ت ، د.ط ، دار المعارف ، مصر ، ص 11 .

لغوي يستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين، و منه نرصد مدى تشبثها بالدرس الصوتي و خدمة هذا الأخير لها و هو الموضوع الذي سنغوص في أعماقه من خلال إبراز أهم المفاهيم الواردة للمصطلحات الآتية :

1_ مفهوم الصوت لغة و اصطلاحا :

لغة : يقول الخليل في مادة (ص ، و ، ت) : « صوت فلان بفلان تصويتا أي دعاه و صات يصوت صوتا فهو صائت بمعنى صائح » [1] ، و يذكر الرازي في تعريفه الصوت قائلا :« و الصوت مصدر صات الشيء يصوت صوتا فهو صائت ، و صوت تصويتا فهو مصوت ، و الصوت مذكر لأنه مصدر كالضرب و القتل ،... »[2]، كما يضيف ابن سيده قائلا :« والصوت لغة في الصيت وفي الحديث ما من عبد إلا له صيت في السماء أي ذكره و شهرة و عرفان ، قال و يكون في الخير و الشر » [3]، أي له على ألسنة الناس ذكر حسن طيب و ذكر سيء منبوذ يتداولونه فيما بينهم .

اصطلاحا : يعتبر الصوت لب الكلام ومادته الخام ،حيث يقول الجاحظ فيه : « الصوت هو آلة اللفظ و الجوهر الذي يقوم به التقطيع ، و به يوجد التأليف، و لن تكون حركات

1_ الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين ، ج1 ، تح : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، د.ط، ص146.

2_ مصطفى ديب ، مختار الصحاح أبي بكر الرازي ، د.ت ، د.ط ، بيروت ، 1986 ، ص242.

3_ ابن منظور ، لسان العرب ، د.ت ، د.ط ، دار صادرة ، بيروت ، 1957 ، ص 302 .

اللسان لفظا و لا كلاما موزونا و لا منثورا إلا بظهور الصوت ...» [1]. أما ابن جني فيعرفه بقوله :« اعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا ، حتى يعرض له في الفم والحلق و الشفتين مقاطع تثنية عن امتداده و استطالته...»[2]، و معنى هذا أن عملية إصدار الصوت إنما تتم على مستوى الجهاز النطقي ، و بالتأمل في أعضاء النطق يكمن تمييز و تحديد كيفية نطق الأصوات و اختلافها عن بعض، و هو ما ذهب إليه المحدثون أمثال إبراهيم أنيس في قوله:« الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها » [3] ، ويقصد بذلك أن الصوت مسموع و بالتالي فله أثر فينتج من تصادم شيئين أو عند الإنسان باهتزاز الوترين الصوتين غير أن حقيقته مجردة لا يمكن رؤيتها فلا يمكن لمح تلك الذبذبات الصوتية الصادرة من فم المتكلم إلى أذن السامع لأنها غير ملموسة .

2_مفهوم المخرج الصوتي :

لقد شهدت ساحة البحث الصوتي إقبالا و اجتهادا كبيرا من قبل الباحثين حيث حاولوا

1_ عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، تح : عبد السلام محمد هارون ، د.ط ، ص.79

2_ عثمان ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، تح : حسين هنداوي ، ط1 ، دار الحكم ، لبنان ، 1988 ، ص23.

3_ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، د.ت ، د.ط، مكتبة نهضة مصر ، مصر ، ص 5 .

تصنيف الأصوات حسب مخارجها في الجهاز النطقي إذ يعتبر المخرج عموما النقطة أو المركز الذي يصدر منه الصوت .

لغة : جاء في لسان العرب :« الخروج نقيض الدخول ، خرج يخرج خروجا و مخرجا ، فهو خارج و خروج و خراج ، و قد أخرجته و خرج به...يقال خرج مخرجا حسنا ، و هذا لمخرجه ، و أما المخرج فقد يكون مصدر قولك أخرجه» [1].

اصطلاحا :

يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من استخدمه كمصطلح ظاهر بقوله :« في العربية تسعة و عشرون حرفا منها خمسة و عشرون حرفا صحاحا لها أحياز و مدارج ، وأربعة أحرف جوف، وهي الواو و الياء و الألف اللينة، و الهمزة ، و سميت جوفا لأنها تخرج من الجوف...» [2]، و يقصد الخليل من وراء تعريفه هذا أن المخرج هو الموضع الذي يتم على مستواه اعتراض الهواء الصادر من الرئتين ، مؤكدا ذلك بقوله :« و ثلاثة شفوية (ف ، ب ، م) مخرجها من بين الشفتين »[3] ، أي أن الأصوات الثلاثة المذكورة تخرج من بين الشفتين دون غيرها من المخارج . إضافة إلى هذا نجد ابن يعيش يعرف المخرج

1_ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خرج) ، ج9 ، د.ت ، ط4 ، دار صادرة ، بيروت ، 2005 ، ص 33.

2_ الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، ج1 ، تح : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي . ط1 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، 1988 ، ص52 .

3_ الخليل ، المرجع السابق ، ص 51 .

على انه : « المقطع الذي ينتهي الصوت عنده » [1]، و هذا دليل على المكان و الموضع الذي يتم فيه انحباس الهواء . أما المحدثون فقد جاءت تعريفاتهم للمخرج مطابقة لتعريفات الأوائل ، فيعرفه برجستراسر بقوله : « المَخرجُ أو المُخرَج هو الموضع من الفم و نواحيه الذي يخرج أو يُخرج منه الحرف »[2]، و يضيف ماريوباي قائلا :« إن تمييز أصوات اللغة سواء منها الأنفي أو الفموي يعتمد على استمرار الصوت و درجة إسماعه، و قوة إنتاجه و فوق كل هذا على المخرج و كلمة المخرج تشير إلى النقطة المحددة في الجهاز النطقي التي يتم عندها تعديل وضعه»[3]، و منه يتبين من خلال كل التعريفات المقترحة على المخرج أنها تصب في وعاء واحد كونه موضع التقاء عضو أو أعضاء النطق، و مرور الهواء و منه حدوث الصوت .

3_مفهوم صفة الصوت :

لقد أكد دارسوا علم الأصوات أن المخرج وحده غير كاف لتأهيله كمقياس للتمييز بين الأصوات و ذلك بسبب اشتراك عدة أصوات في مخرج واحد ، هذا ما دفع إلى ابتكار مقياس جديد يغطي نقائص مقياس المخرج و المتمثل في الصفات.

لغة : ورد في لسان العرب مادة (وصف) : « وصف الشيء له و عليه وصفا و صفة :

1_ موقف الدين بن يعيش ، شرح المفصل ، ج10 ، د.ت ، د.ط ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، ص125 .

2 _ برجستراسر ، التطور النحوي للغة العربية ، دت ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1994 ، ص11.

3_ ماريوباي ، أسس علم اللغة ، تر : أحمد مختار عمر ، جامعة طرابلس ، 1973 ، ص79 .

حلاه ، و الهاء عوض من الواو ، و قيل : الوصف المصدر و الصفة الحلية ...» [1].

كما جاء في مادة(وصف) في كتاب المفردات في غريب القرآن ما يلي:« وصف ذكر الشيء بحليته و نعته و الصفة و الحالة التي عليها الشيء من حليته ونعتة كالزنة التي هي قدر الشيء و الوصف قد يكون حقا أو باطلا ...و يقال: اتصف الشيء في عين الناظر إذا احتمل الوصف » [2] ، ومنه فان الصفة يقصد بها الحالة و الهيئة التي يأتي بها الشيء و تميزه عن غيره من الأشياء.

اصطلاحا : تعرف الصفة كونها: « كيفية تولد الحرف و خروجه من مخرجه»[3]، و منه فان هدفها السامي إنما يتجلى في تمييز الحروف بعضها عن بعض ، كما نجدها في تعريف آخر على أنها :« كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج، و تتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها عن بعض » [4]، و يعني ذلك أن الصوت عندما يعترض له في المخرج يكتسب صفته الخاصة و يميز بها حتى و إن اشترك مع غيره في ذات المخرج .

1_ ابن منظور ، لسان العرب ، ص302 .

2_ الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، د.ت ، د.ط، دار الكتاب العربي ، ص525.

3_ رحيمة عيساني ، الميسر في أحكام الترتيل برواية ورش عن نافع ، دار الهدى ، الجزائر ، ص 34 .

4_ طاش كبرى زاده ، شرح المقدمة الجزرية ، تح : محمد سيدي محمد الأمين ، مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة ، 1421ه ، ص87.

4_الجهاز الصوتي :

يقصد بالجهاز الصوتي أو الجهاز النطقي مجموع الأعضاء الموجودة في جسم الإنسان التي تساهم في حدوث الأصوات اللغوية و تشمل ما يلي :

الرئتان : تعرف بأنها مخزن الهواء ، يتم بواسطتها حدوث عمليتي الشهيق والزفير، حيث أن الحجاب الحاجز يقوم بالضغط على الرئتين فيخرج الهواء منهما مندفعا و يتخذ مسلكا خاصا ليعترض له في مقطع محدود و منه إصدار الصوت يقول إبراهيم أنيس : « تقوم الرئتان بعملية التنفس كالشهيق و الزفير ، فالشهيق يرفع أضلاع الصدر أما الزفير يخفض هذه الأضلاع مما يؤدي إلى دفع الهواء من الرئتين إلى القصبة الهوائية» [1] ، يتضح من خلال هذا التعريف الدور الفعال الذي تؤديه الرئتان لحدوث النطق عند الإنسان .

القصبة الهوائية : هي بمثابة نقطة الوصل بين الرئتين و الحنجرة ، إذ ينطلق الهواء من الرئتين بعد ضغط الحجاب الحاجز عليها فيأخذ مسلكه عبر القصبة الهوائية إلى الحنجرة، حيث:« هي تلك القناة التي يندفع فيها الهواء من الرئتين إلى الحنجرة و العكس...» [2]، و هذا دليل على الحاجة الماسة إليها في حدوث عملية النطق .

1_ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، د.ت، د ط ، مكتبة الانجلو مصرية ، 1999، ص18 .

2_ قاسم البرسيم ، علم الأصوات العربي ، د.ت ، ط1 ، دار الكنوز الأدبية ، لبنان ، 2005 ، ص 105 .

الحنجرة : تقع أعلى القصبة الهوائية و أسفل الحلق و بالتالي فان الهواء لابد له من المرور عبرها ، قال فيها كمال بشر :« تقع في أسفل الفراغ الحلقي و تكون الجزء الأعلى من القصبة الهوائية (و هي الممر المؤدي إلى الرئتين) و هي أشبه بحجرة ذات اتساع معين و مكونة من عدد من الغضاريف...» [1] ،و بهذا تشكل الحنجرة عضوا رئيسيا لمرور الهواء و حدوث الصوت اللغوي .

الوتران الصوتيان : أو ما يسمى بالحبال الصوتية ، و هما عبارة عن عضلتين يتموقعان بالحنجرة ، يأخذان حالة اهتزاز دائم غير أن هذا الاهتزاز يختلف فهو في حالة السكون بطيء جدا على عكس حالة الإنسان و هو يمارس عملية النطق فيهتزان بشدة ، و يؤكد محمود السعران هذا بقوله :« هما أشبه بشفتين منهما بوترين، ولكن جرى الاصطلاح على هذه التسمية ، و هذان الوتران ممتدان بالحنجرة أفقيا من الأمام إلى الخلف . و هما من أعضاء النطق المتحركة، و لهما القدرة على اتخاذ أوضاع متعددة تؤثر في الأصوات الكلامية...»[2]، و يتضح هنا كيفية عمل الوتران و موضعهما بالتدقيق و قدرتهما على التأثير في الأصوات اللغوية بتغيير وضعهما .

1_ كمال بشر ، علم الأصوات ، د.ت ، د.ط ، دار الغريب ، القاهرة ، 2000، ص134 .

2_ محمود السعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د.ت ، د.ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص136.

الحلق : يتموضع بين الحنجرة و الفم ، له أهمية كبيرة في حدوث الصوت و يعتبر مخرجا للكثير من الأصوات فيطلق عليها الأصوات الحلقية ، يقول قيه إبراهيم أنيس: « عبارة عن فراغ رنان يضخم بعض الأصوات اللغوية بعد صدورها من الحنجرة »[1] ، و منه فهو يؤدي دورا مهما أثناء عملية النطق و يشكل أبرز أعضائها.

اللسان :يحتل اللسان مكانة عظيمة بين أعضاء النطق نظرا لمساهمته البالغة في إحداث الصوت اللغوي، يؤكد كمال بشر هذا بقوله :« هو من أهم أعضاء النطق و قد سميت به اللغات و اللهجات ، فيقال لسان عربي و يقصد اللغة العربية...» [2] ، و تسمية اللغات به دليل على مكانته المرموقة في الأبحاث الصوتية .

الأسنان: تتموضع بالفم وتساهم في حدوث العديد من الأصوات وغيابها يؤدي إلى حدوث خلل واضح في النطق، يقول إبراهيم أنيس : « هي تلك السلسلة الحاجبة المثبة بالفكين الأسفل و الأعلى بالفم و البالغ عددها اثنتين و ثلاثين سنا عند الإنسان البالغ ...» [3]،و يتضح من هذا التعريف أن الأسنان تتوزع على الفكين الأعلى و السفلي للفم و كذا اختلافها عند البشر فهي تأخذ وقتا حتى تنضج ولا تولد مع الجنين إلى أن تصل عند

1_ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص19

2 _ كمال بشر ، علم اللغة العام ، د.ت، د. ط ، مكتبة الشباب ، مصر ، ص 71 .

3_ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص7 .

البالغ اثنتين و ثلاثين سنا .

الشفتان : تشكلان عضوا مهما من أعضاء النطق تختلف حركتهما باختلاف الأصوات المنطوقة ، قال محمود السعران فيهما : « الشفتان من أعضاء النطق المتحركة، و هما تتخذان أوضاعا مختلفة عند نطق الأصوات المختلفة ، و من الممكن ملاحظة هذه الأوضاع بيسر و سهولة... »[1]، و هنا تأكيد على صفة كثيرة الحركة التي تمتاز بها الشفتين ، و عدتا مخرج أغلب الأصوات اللغوية .

5_عيوب النطق :

لقد شهد التراث العربي عبر مرور أجيال عديدة و متباينة وجود عيوب و أمراض يتعرض لها المتكلم ، فالكلام الفصيح المجهور السلس الذي يحدث من ورائه الإفهام و الإبلاغ دون وجود أي عوائق مفروغ منه أنه لا عيب فيه، أما الذي تجده لا يؤدي وظيفة الإفهام فيتعلثم تارة و ينحبس تارة أخرى فهذا مصاب بأحد العيوب النطقية لا ريب ،و قد حددها علماء الأصوات و حاولوا اقتراح بعض الحلول، ولعل وأهم هذه العيوب ما ذكروا :

البُكم : حاول الدارسون التفريق بينه و بين الخرس ، لتقارب بعضهما ببعض و يراد بالبكم الانقطاع و التوقف عن الكلام حيث ورد عن الأزهري :« وقلت : بين الأخرس و الأبكم

1_ محمود السعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص139 .

فرق في كلام العرب ، فالأخرس الذي خلق ولا نطق له ... والأبكم الذي للسانه نطق و هو لا يعقل الجواب،ولا يحسن وجه الكلام »[1]،و يتبين من خلال هذا التعريف الفرق بين الأبكم والأخرس فهذا الأخير ولد بالفطرة لا يحسن الكلام أما الأبكم فهو الذي يتعمد عدم الكلام.

التمتمة : يقصد بها تردد حرف التاء على اللسان بكثرة وهو ما يجعله ثقيل في النطق و يتأكد ذلك في قول أبي ثابت : « وأما التمتام : فالذي في لسانه تمتمة ، و هو ثقل و ترديد في التاء »[2]، يعني ثقل اللسان بفعل كثرة تردد حرف التاء في الكلام .

الحُكلة : قصد بها انخفاض الكلام إلى درجة الخفاء عن السماع ،و قد تأكد ذلك في قول الجاحظ : « و قال رؤية بن العجاج :

لو أنني أوتيت علم الحكل علم سليمان كلام النمل »[3].

قصد الجاحظ في هذا البيت قدرة الله في جعل سليمان يفهم كلام النمل على الرغم من انخفاضه لدرجة الخفاء و عجز أي بشر على فهمه أو الإنصات إليه .

1_ أبو منصور الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج10 ، د.ت، د.ط ، دار الكتب العلمية ، ص 296.

2 _ أبي محمد ثابت بن أبي ثابت ، خلق الإنسان ، تح : عبد الستار أحمد فراج ، ط2، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1985 ، ص184 .

3_ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص38 .

العَقَدْ : يتواجد هذا العيب على العموم في اللسان فيحدث و كأن يعقده و يوقفه عن الحراك ، ورد عن أبي ثابت : رجل أعقد ، و امرأة عقداء اللسان »[1]، يقصد به انحباس اللسان عن إحداث الأصوات اللغوية بطريقة سليمة .

الفَأْفَأَة : يقصد بها وجود عيب في اللسان راجع إلى كثرة ترديد حرف الفاء ، و الدليل على صحة هذا التعريف قول الأصمعي : « ...وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء»[2]، في هذا التعريف تأكيد على تدخل حرف الفاء في هذا المرض النطقي ، إذ كلما أراد المرء الكلام سبقت الفاء حديثه .

اللُّثغة: يتواجد هذا المرض عموما في اللسان و في طرف اللسان بالأخص و قد تأكد ذلك في هذا التعريف ، قال ثابت بن أبي ثابت : « الألثغ ، و هو الذي لا يتم رفع لسانه في الكلام »[3]، و يتضح من هذا التعريف موضع حدوث مرض اللثغة و أنه يجعل اللسان ثقيلا بسبب عدم القدرة على رفع طرفه عند بعض الأصوات اللغوية .

اللَّفَفْ : يظهر هذا العيب أثناء عملية نطق الأصوات و هو ثقل في اللسان، يجعل الكلام بطيئا و يتأكد ذلك في هذا التعريف : « ... و رجل ألف بين اللفف أي عييّ بطيء

1_ثابت بن أبي ثابت ، خلق الإنسان ، ط2 ، ص186 .

2_ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 37 .

3_ ثابت بن أبي ثابت ، خلق الإنسان ، ص 183 .

الكلام إذا تكلم ملأ لسانه فمه »[1]، و منه فإن المصاب بهذا المرض يشعر أنه يجهد نفسه لنطق الأصوات اللغوية بسبب ثقل كلامه و صعوبة حراكه.

و كل هذه العيوب و الآفات النطقية بالإضافة إلى العيوب التي لم نتطرق إليها كالجلجال والخرس و اللجلجة و اللقلقة وغيرها الكثير إذ أصابت الجهاز النطقي عند الإنسان أدت بالضرورة إلى خلل و تشوه نطق الأصوات اللغوية .

6_ الصوت و البيان :

تربط بين الصوت و البيان علاقة وطيدة لا يمكن تجاهلها، إذ أن إخراج الأصوات اللغوية من مخارجها الصحيحة ونطقها بجهارة و خلو اللسان من العيوب هي التي تكسب المعاني الموجودة في فكر الإنسان هيئتها الحسنة و تكسب صاحبها الثقة بالنفس من خلال جذب المستمع و الإصغاء إليه بكل شغف .

تناول علماء الصوت هذه العلاقة و أبدوها اهتماما بالغًا و لعل أبرزهم الجاحظ الذي ألّف كتابا خاصا و أطلق عليه عنوان " البيان و التبيين " و ذلك لشدة اهتمامه بحدوث البيان العربي ، فيذكر أن لحدوث البيان ينبغي توفر الصوت على سمات أهمها :

الحِدّة ، و يعني بها وجود كون الصوت حاد دقيق بعيد عن الخشونة و الغلاضة التي

1_ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة لفف ، ج9 ، ص 319 .

تذهبه بهائه و مثل لذلك بقوله : « و العصفور لا يستقر ما كان خارجا من وكره حتى كأنه في دوام الحركة صبي . له صوت حديد مؤذ »[1]، و يقصد بهذا أن حدة الصوت دلالة على صغر المرء وصبابته فلا يزال محافظا على صوته الدقيق يفصح عما أراد بكل خفة على عكس المرء الذي صوته غليظ خشن يدل على كبر سنه و زوال حسن صوته.إضافة إلى سمتي القوة و الشدة و هي تخص المرء الذي يتمتع بجهارة الصوت و التي تبديه هيبته الخاصة و اعتبار الناس له عند حديثه ، و مثل الجاحظ لذلك قائلا : « أن (أبا عتاب) دخل على (عمرو بن هدَاب) و قد كف بصره و الناس يعزونه ، فمثل بين يديه ، و كان كالجمل المحجوم ، و له صوت جهير ، فقال : يا أبا أسيد لا يسؤنك ذهابهما ... »[2]، و أراد الجاحظ من وراء ذلك أن الإنسان تمده جهارة صوته و شدته بالشخصية القوية و المكانة الراقية بين عرشه . كذلك نجد سمة الجمال و يكون باحتواء الصوت إيقاعا معينا يحدث في نفس المستمع نغما و طربا موسيقيا يجعله يتلذذ و يتذوق الكلمات المتلفظ بها و هو مقابل للقبح الذي يدفع المستمع إلى النفور منه .

و كل هذه السمات مجتمعة في الصوت اللغوي تدفع إلى حدوث البيان الذي هدفه الكشف عن المعنى المراد من وراء اللفظ المنطوق من خلال حسن مخارج الأصوات

1_ الجاحظ ، الحيوان ، ج5 ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ط2 ، مكتبة مصطفى البابي ، مصر ، ص 224.

2_ الجاحظ ، الحيوان ، ج3 ، ص35.

اللغوية التي تترك في النفس أثرا طيبا .

أشار الجاحظ إلى الأداء الصوتي و ماله من أثر كبير في حدوث البيان من عدمه في قوله : « ... و من أجل الحاجة إلى حسن البيان ،و إعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة _ رام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه ، و إخراجها من حروف منطقه ، فلم يزل يكابد ذلك و يغالبه ، و يناضله و يساجله ، و يتأتى لستره و الراحة من هُجنته ، حتى انتظم له ما حاول ، و اتسق له ما أمل »[1]، فيوحي الجاحظ من خلال قوله هذا أن الإنسان عموما بحاجة إلى نطق الأصوات اللغوية نطقا سليما لما لذلك من أثر بليغ في حدوث البيان و الإفهام و الإفصاح بكل سهولة عما يختلج بصدر المرء من أفكار و مشاعر و أحاسيس.

7_ الدرس الصوتي قبل الجاحظ :

لم يظهر الدرس الصوتي كعلم مستقل قائم بذاته منذ القدم غير أن مباحثه كانت منتشرة في ثنايا علوم كثيرة خصوصا علوم الفقه و التجويد ، حيث اهتموا بكيفية نطق الأصوات اللغوية و مخارجها صيانة للغة العربية عموما و القرآن الكريم خصوصا من ولوج اللحن ،

1_ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج2 ، تح : محمد عبد القادر عطاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت : 1422هـ/ 2002 م ، ص 477 .

خاصة بعد اختلاط الألسنة عربا و عجما بعضها ببعض،إذ يروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : « سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يلحن في كلامه ، فقال : أرشدوا أخاكم فإنه قد ضلَّ »[1]، و منه يبرز الاهتمام البالغ لدى علماء العرب بدراسة أصوات اللغة خصوصا بعد الانتشار الواسع الذي شهده الإسلام في مختلف ربوع العالم و رغبة المسلمين عربا و عجما في فهم القرآن الكريم و ترتيله و العمل به قولا و فعلا .

لقد ظهرت الدراسات اللغوية عند العرب منذ القرن الثاني للهجرة ، و باعتبار الدرس الصوتي جزءا من علوم هذه اللغة وجب الاهتمام به و التطرق إليه ، و منه فإن الدرس الصوتي ارتبط بداية بالنص القرآني و يظهر ذلك جليا في المحاولات التي قام بها علماء التجويد ، من خلال الغوص في غمار الأصوات بهدف معرفة أسرار هذا العلم و كنه وجوده.لقد تباينت درجة اهتمام علماء اللغة بالدرس الصوتي بتباين توجهاتهم و تخصصاتهم فنجد :

اعتمد الخليل بن أحمد الفراهيدي لبناء معجمه" العين " منهجا خاصا تمثل في ترتيب مواد معجمه ترتيبا صوتيا أي بحسب تدرج الأصوات في الجهاز النطقي فتذوق الأصوات و رتبها على النحو الآتي : « **ع ، ح ، خ ، غ ، ج ، ش ، ض ، ص ، س ، ز ، ط ، د،**

1_ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص15 .

ت ، ظ ، ذ ، ث ، ر ، ل ، ن ، ف ، ب ، م ، و ، ا ، ي ، الهمزة »[1]، ومنه فإن الخليل رتب الأصوات انطلاقا من الأعمق مخرجا المتمثلة في الحلق ثم تدرج وصولا إلى أعلى مخرجا و هو الشفتان ، فظهرت بذلك الأصوات الحلقية و الأصوات الشفوية و غيرها كما اهتم بمخارج الحروف فقال: « في العربية تسعة و عشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز و مدارج و أربعة أحرف جوف ، و هي الواو و الياء و الألف و الهمزة. و سميت جوفا لأنها تخرج من الجوف...» [2]، وعلى هذا الأساس صنف المخارج ، كما استعمل الخليل مصطلحات تدل على المخرج: « المبدأ ، المدرج و الحيز »[3]، و هكذا يظهر اهتمام الخليل بالدرس الصوتي من خلال ترتيب الأصوات و تصنيف المخارج.

و بعد الخليل ظهر تلميذه سيبويه الذي يرى في تقديم مؤلفه (الكتاب) معتمدا في ترتيب الأصوات على الأساس الفيزيولوجي أي بالنظر في أعضاء النطق و مخارج الأصوات اللغوية ، انطلاقا من هذا الترتيب تمكن من تصنيف المخارج في قوله : « تحدث عن

1_ الخليل بن احمد الفراهيدي ، العين ، ج1 ، تح : عبد الله درويش ، د.ط، مطبعة العاني ، بغداد ، 1386 هـ/1967م ، ص65.

2 _ الخليل بن احمد الفراهيدي ، المرجع السابق ، ص41.

3_ الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، ص 57_ 64 _ 65 .

مخارج الأصوات و جعلها ستة عشر مخرجا »[1]، و يتضح بذلك تقسيم سيبويه للمخارج إلى ستة عشر مخرجا و كل مخرج يضم عدد من الأصوات اللغوية ، كما أشار سيبويه إلى مسألة الإدغام فقال : « إنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام و ما يجوز فيه ، و مالا يحسن فيه ذلك »[2]. وبالتالي فسيبويه من خلال هذا التعريف تطرق إلى صفات الأصوات ومن الصفات لاحظ الأصوات التي يجوز إدخال الإدغام عليها و مالا يجوز فيها ذلك.و بقي الدرس الصوتي على حاله يدر في ثنايا العلوم و لخدمة مباحث أخرى إلى أن جاء ابن جني و نظر إليه كعلم قائم بذاته و تمكن من وضع مؤلف خاص به حمل عنوان " سر صناعة الإعراب " ، إذ صرح بغاية كتابه هذا لخدمة الصوت و الحرف قائلا:«...أن أضع كتابا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم ، و أحوال كل حرف و منها ، و كيف مواقعه في كلام العرب و أن أتقصى القول في ذلك و أشبعه و أؤكده ...» [3]، و يقصد بذلك أنه وضع الأصوات و الأحرف انطلاقا من استخدام العرب لها في كلامهم ، فيصفه ثم يضع له مثالا من كلام

1_ سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، تح : عبد السلام محمد هارون ، د.ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1395 ه / 1975 م ، ص 434.

2_ سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، ص436.

3_ عثمان ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج1 ، تح : حسن هنداوي ، ط2 ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، 1413 هـ / 1993 م ، ص 3 .

العرب إثباتا لصحته.

تناول ابن جني جهاز النطق عند الإنسان و قال فيه:« و قد شبه بعضهم الحلق و الفم بالناي ، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملسا ساذجا...» [1]، فشبه بذلك جهاز النطق بآلة الناي فيختلف الصوت باختلاف المخرج كما تختلف الأصوات الصادرة عن آلة الناي باختلاف مواقع أناملنا فيها ، و رأى كذلك أن الصوت عند الإنسان يخرج في صورة مستطيلة ليتخذ مجراه و يتوقف عند مقطع معين، كما تطرق أيضا إلى دراسة مخارج الأصوات بقوله :« و أعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر...» [2]، و منه صنف المخارج إلى ستة عشر كل منها تحتوي على عدد من الأصوات اللغوية تتميز بها عن غيرها. كما حظي الدرس الصوتي اهتماما كبير من لدن العالم العبقري " ابن سينا " فتعددت مباحثه و أبرزها مبحث كيفية حدوث الصوت ، و يوضح قائلا :« أظّن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعه بسرعة و بقوة من أي سبب كان...» [3]، و يتضح من هذا التعريف أن سبب حدوث الصوت هو اندفاع الهواء المخزن في الرئتين اندفاعا

1_ ابن جني ، المصدر السابق ، ص 8 _ 9 .

2 _ نفسه ، المصدر السابق ، ص46

3_ أبو علي الحسين ابن سينا ، أسباب حدوث الحروف ، تح : محمد حسان الطيّان ،ط1 ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1403 هـ / 1983 م ، ص 56_ 57 .

قويا سالكا بذلك مجرى معين. كما يفرق ابن سينا بين الصوت عموما و الصوت اللغوي خصوصا فيستعمل لفظة "حرف " و يقول :« و الحرف هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر في الحدة و الثقل تميز في المسموع » [1]، يقصد بذلك أن الصوت اللغوي يختلف بسمة الحرف الذي يحمل معنا لغويا معينا وفي مقابل ذلك لا نجد الصوت عموما حاملا معنا خاصا كالأصوات الناجمة عن تصادم شيئين ببعض.

ومن خلال هذه الجهود الجبارة المبذولة في سبيل الدرس الصوتي يتضح مدى تجذر المباحث الصوتية في التراث العربي و الحاجة الماسة إليها للبحث في شتى العلوم .

1_ ابن سينا ، المصدر السابق ، ص 60 .

الفصل الثاني

الجاحظ و الدرس الصوتي في البيان و التبيين

- التعريف بالجاحظ
- التعريف بالبيان و التبيين
- اسهامات الجاحظ الصوتية
- جهاز النطق عند الجاحظ
- الأصوات اللغوية
- عيوب النطق

قبل أن نخوض في بحر كتاب الجاحظ كان لزاما علينا تقديم ترجمة لهذا العالم العبقري الفذ الذي ملأ الدنيا ببيانه و شغل كتب التاريخ و التراجم بعلمه .

1_التعريف بالجاحظ:

أ_ تعريفه :هو« عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (159 هـ / 255 هـ) (755هـ / 869 هـ) ولد بالبصرة ، لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه و كني بأبي عثمان » [1]، وورد أيضا:« و يقال هو عمرو بن بحر بن محبوب و كنيته أبو عثمان و لقب بالجاحظ ، و الحدقي لنتوء حدقتيه و الجاحظ كناني... و ذكر الياقوت أنه عمر أكثر من تسعين سنة و مات سنة 255 هجري في خلافة المعتز و في رأي المرزباني أنه ناطح المائة »[2]، هذا فيما يخص كنيته و مولده أما أبرز سماته التي ميز بها عن غيره فنجد :«... مشحوذ المشاعر متنبه المدارك و القريحة ، دائم التطلع ، و التوثب العقلي ، و راح في عصامية نادرة ، يجمع بين العلم و العمل و لكن حرصه على الأول أكثر »[3]، و هذه السمات مجتمعة تعكسها مؤلفاته بوضوح .

ب_حياته : « كان مولده في البصرة ، فلما ترعرع طلب العلم في الكتاب و خالط المسجدين من أهل العلم و الأدب ، فأخذ عنهم و كان يكتري حوانيت الوراقين و يبيت

1_ أبو عثمان عمرو الجاحظ ، البخلاء ، تح :محمد التونجي ، ط1 ، دار الجيل للنشر و الطباعة ، ص 5_6.

2_ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، د.ت، الطبعة الأخيرة ، دار المأمون ، القاهرة ، ص2101.

3_ الجاحظ ، البخلاء (نوادر البخلاء و احتجاج الأشقاء) ، تح : عمر الطباع ، ص 20 _ 25 .

فيها للمطالعة على أن ضيق ذات يده لم يتح له أن ينقطع إلى العلم في أول مرة ، فقد شوهد يبيع الخبز و السمك في سيحان...»[1]، و على الرغم من قساوة الظروف التي مر بها لم يمنعه ذلك من طلب العلم و تغذية فكره، فجاء عن البستاني: « و لم يدع الجاحظ علما معروفا في أيامه إلا نظر فيه ، و اطلع عليه ، فقد درس الفلسفة و المنطق و الطبيعيات و الرياضيات و التاريخ و السياسة و الأخلاق و الفراسة فاكتملت آلته ، فإذا هو فقيه متكلم يتفلسف و يتمنطق ...» [2]، و منه فرغم بساطة حياته إلا أنه لم يستسلم للظروف و الواقع البائس بل جاهد و سعى لإثبات مكانته و تجسيد ما أوتي من علم في مؤلفات خاصة لا حصر لها .

ج_شخصيته: مهما كان مظهره قبيحا كما تداولت الأساطير إلا أن هذا لا يعني خلوه من السمات الحسنة فقد ورد عنه شخصيا في مؤلفه:« كان الجاحظ رجل علم ، و ثقافة واسعة ، باعتباره عمليا ، مثقفا و طموحا ، كما اتصف بشخصية فذة ، تميزت بقوة المنطق ، و بالفضول العلمي ، و التعايش الفكري ، و كانت الفكاهة علامة فارقة فيه ، كما أن الدعابة نزعة متأصلة في روحه ، مجسدا إياها في النكتة و السخرية التي لم تفارق أدبه » [3]، فلم يمنعه قبح و بشاعة مظهره من إظهار جمال روحه

1_ بطرس البستاني ، أدباء العرب في الاعصر العباسية حياتهم ، آثارهم نقد آثارهم ، د.ت ، ط1 ، مؤسسة هنداوي ، ص 203 .

2_ بطرس البستاني ، المصدر السابق ، ص207 .

3_ الجاحظ ، البخلاء ، ص 6 .

و حسه المرهف و رجاحة عقله من العلم و الشغف بالحياة .

د_ أشهر مؤلفاته:

كتب الجاحظ في كافة العلوم و فنون الأدب المعروفة في زمانه ، و تجمع كتبه بين العلم و الفائدة و البراعة في التعبير و سحر البيان ، و قد ألف كتبا كثيرة نهل منها الكثيرون من علماء و غيرهم و اتخذوها منطق للتأليف ، و لعل من أبرز مؤلفاته :

_الحيوان : « هو كتاب علم و تاريخ و أدب كان الأول من نوعه عند العرب يعود مصدر هذا الكتاب لأرسطو ، و أشعار العرب ، و كتب علماء العرب في الحيوان بالإضافة إلى خبرة الجاحظ و تجاربه العلمية ، إذ يعتبر هذا المؤلف موسوعة شاملة و صورة ظاهرة لثقافة العصر العباسي في تشعب أغراضها» [1]، و لقد تراوح أسلوبه في هذا الكتاب بين علمي أدبي و بين جد تارة و هزل و فكاهة تارة أخرى.

_البخلاء: « ألفه الجاحظ طلبا للمنفعة العامة، بحيث كان الكتاب عبارة عن خلاصة خبرة صاحبه و مجموعة معلوماته و صورة لناحية البخل و الاقتصاد في مجتمعه ، منتهجا فيه سبيل القصص و الفكاهة و التهكم» [2]، تناول في هذا الكتاب قضايا سائدة في مجتمعه و حاول تحليل بعض الشخصيات المحيطة به بناءا على دقة الملاحظة كذلك لم يخلو هذا المؤلف من روح الفكاهة و الدعابة .

1_ الجاحظ ، الحيوان ، ج 1، ص8 .

2_حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، د.ت، د.ط، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ص 551_ 552.

البيان و التبيين : و هو كتاب في الأدب جمع فيه هو الآخر بين الحد و الهزل والفكاهة ، و قد تناول فيه قضايا تخص الخطيب الخطابة كذلك السمات التي ينبغي على الخطيب الاتسام بها لحدوث البيان في الكلام و إلى غير ذلك .

رسائل الجاحظ: هي من الآثار الأدبية الشهيرة التي خلفها الجاحظ حيث جسد في هذا الكتاب مجموعة رسائل طويلة كل رسالة منها تبحث في موضوع محدد جاء عن عبد الحليم محمد حسين: « فكان مثلا رائعا لهذه المقدر على التصوير الساخر ، الذي يتغلغل في أعماق النفس ، و يستبطن كل ما فيها ...» [1]، و اتخذ الجاحظ من تجربته الشخصية و مخالطة الناس ركيزة للشروع في التأليف .

هـ_وفاته : لقد تعددت الروايات حول قصة وفاته فالبعض قال بوفاته تحت رفوف المكتبة بعد سقوطها عليه و كان منغمسا في المطالعة و البعض الآخر قال وفاته بسبب مرض الفالج و النقرس و هذا ما أكده ياقوت الحموي بقوله : « ... أن المبرد قال : دخلت على الجاحظ في آخر أيامه فقلت له كيف أنت ؟ فقال يكون من نصفه مفلوج لوخز بالمناشر ما شعر به و نصفه الآخر منقوس لو طار الذباب بقربه لآلمه و أشد من ذلك ستة و تسعون أنا فيها » [2].

1_ عبد الحليم محمد حسين ، السخرية في أدب الجاحظ ، د.ت، ط1 ، الدار الجماهيرية ، طرابلس ، ليبيا ، 1988 ، ص 99 .

2_ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، مج:4، د.ت، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،1991، ص 49 .

2_ التعريف بالبيان و التبيين : يعتبر كتاب البيان و التبيين من أشهر الكتب و أكثرها انتشارا في التراث العربي ، و كان آ خر ما ألف الجاحظ لذلك جاء جم الفوائد زاخر المضامين . تلقى هذا الكتاب قبولا و استحسانا كبيرا من لدن العلماء العرب ، حتى قال فيه أبي الهلال العسكري : « ... و كان أكبرها و أشهرها كتاب " البيان و التبيين " لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، و هو لعمري كثير الفوائد ، جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، و الفقر اللطيفة ، و الخطب الرائعة ، و الأخبار البارعة ، و ما حواه من أسماء الخطباء و البلغاء ، و ما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة و الخطابة ، و غير ذلك من فنونه المختارة ، و نعوته المستحسنة ،إلا أن الإبانة عن حدوث البلاغة ، و أقسام البيان و الفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ، ومنتشرة في أثنائه ...» [1]، و انطلاقا من عنوان الكتاب الظاهر يتضح سبب تأليفه فيه و هو الدفاع عن البيان العربي بشتى مظاهره .

_أسلوب الجاحظ فيه : انتهج فيه الجاحظ منهجه الخاص،حيث :« يبرز واضحا جليا مدى تقديس و تشبث الجاحظ بالعقل و هو في ذلك يسير على نهج المتكلمين عموما و المعتزلة خصوصا اعتمد منهجا عاما يستند فيه إلى الأصول و الكليات و التي منها يتحرى القارئ العلل و الأسباب لذا نجد منهجه يتسم بالاضطراب و ذلك راجع لكثرة

1_ أبي الهلال العسكري ، الصناعتين الكتابة و الشعر ، تح : علي محمد البجاوي ، و محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، 1952 ، ص 4 _ 5 .

استطراده ...» [1]، و اتسامه بمنهج الاستطراد حيث يمزج بين الجد و الهزل و التقلب و الاضطراب في المواضيع إضافة إلى بعده عن التكلف و الغموض هو ما أدى إلى تشبع كتابه بشتى المعارف و إحداث أثر طيبا في نفس القارئ ليتلقاه هذا الأخير بالقبول و الاستحسان .

_المفهوم العام للبيان و التبيين : عرف الجاحظ البيان قائلا :« البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، و هتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، و يهجم على محصوله ، كائنا ما كان ذلك البيان و من أي جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجرى القائل و السامع ، إنما هو الفهم و الإفهام ، فبأي شيء بلغة الإفهام و أوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع » [2] ، و منه فإن لفظة البيان تشير إلى المعنى الفصيح المفهوم الذي يرد بعد الكلام . أما التبيين فيقصد به التوضيح و التبليغ و هو يختلف عن البيان في تضعيف عين مصدره ، كذلك نجد البيان يتم بتوفر المتكلم و المستمع فيتم بإفهام المتكلم للمخاطب و إيصال رسالة ما له بينما التبيين فهو يخص المتكلم فقط لأنه هو الذي يختص باللفظ و التبيين و التوضيح و إيصال المعنى المراد .

_القيمة التاريخية و الأدبية للبيان و التبيين: يحتل كتاب البيان و التبيين مكانة راقية جدا نالت بذلك إعجاب الكثير من العلماء و الدارسين على اختلاف توجهاتهم ، و من

1_ كاظم حطيط ، دراسات في الأدب العربي ، مج : 1 ، د.ت ، ط1 ، الشركة العالمية للكتاب ، 1977، ص.51

2_ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص76.

بين هؤلاء نجد شيخ المحققين عبد السلام محمد هارون إذ يقول :« لعل من نافلة الكلام أن أردد القول في عظم أثر هذا الكتاب و يمكنني أن أقول في ثقة أنه ليس يوجد أديب نابه في العربية لم يسمع بهذا الكتاب أو لم يفد منه ، و قلما تجد أديبا من المحدثين لم يتمرس بما فيه من أدب » [1] ، و يحمل هذا الكتاب قيمتين عظيمتين تمثلتا في قيمة أدبية و أخرى تاريخية ، فأما الأدبية فقد عدّ مصدرا من أهم مصادر تاريخ الأدب العربي لما تضمنه من أخبارهم و أشعارهم و خطبهم و أمثالهم ، كما تضمن خطبا للرسول صلى الله عليه و سلم والخلفاء الراشدين ، حيث:«...كتاب البيان و التبيين يمثل الطريقة التي ينبغي أن يسير عليها طالب البلاغة في عصر الجاحظ و العصور التي تلت عصره » [2]، و بهذا صنف من أهم الكتب التي اشتغلت على موضوع البلاغة . أما التاريخية فيعد احد مظاهر امتزاج الثقافات في عصر الجاحظ و يظهر هذا الامتزاج في قول الجاحظ عندما قارن بين آراء الأمم في تعريف البلاغة :« قيل للفارسي ما البلاغة ، قال معرفة الفصل من الوصل ، و قيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال تصحيح الأقسام ، و اختيار الكلام، و قيل للرومي : ما البلاغة؟ قال حسن الاقتضاب عند البداهة، و الغزارة يوم الإطالة ، و قيل للهندي ما البلاغة ؟ قال

1_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص5 .

2_ حنا الفاخوري ، الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، ج2 ، د.ت ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1991 ، ص105 .

:وضوح الدلالة و انتهاز الفرصة و حسن الإشارة » [1]، و بهذا يتضح دور تجربته الشخصية و رحلاته في التعرف على الثقافات و تجسدها في مؤلفاته .

3_ إسهامات الجاحظ الصوتية :

إن جهود الجاحظ الصوتية لا تعد ولا تحصى ولعل أهمها ما ورد في كتابه البيان و التبيين ما يلي :

_**أكثر الحروف دورانا:** تنبه الجاحظ على أهمية المسائل الصوتية و هي الحروف الأكثر دورانا في الكلام و رأى أنها تختلف باختلاف الأمم ، يقول :« لكل لغة ألفاظ تدور في أكثر كلامها ، كنحو استعمال الروم السين، و استعمال الجرامقة للعين » [2]، كذلك أشار إلى حرفي الميم و الباء و مخرجهما فيقول :« و الميم و الباء أول من يتهيأ في أفواه الأطفال كقولهم ماما بابا لأنهما خارجان من عمل اللسان ، و إنما يظهران بالتقاء الشفتين » [3]، و يؤكد هنا أن الشفتين تتواجد بوجود الطفل و لا عائق في ذلك بينما الأمر يصعب مع الأسنان التي تأخذ وقتا لتتضج ، إضافة إلى ذلك فقد

1_الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص88.

2_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص 64.

3_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص23 .

خص العرب بحرف الضاد قائلا : « و اعلم أن الضاد للعرب خاصة ...» [1]، و بهذا يكون قد قدم لمحة عن الحروف الأكثر دورانا في الشعوب و الأمم .

_الصوت الجهير : تحدث الجاحظ أثناء دراسته للأصوات عن الصوت الجهير، فقال : « و كان سهل بن هارون شديد الإطناب في وصف المأمون بالبلاغة و الجهارة و الحلاوة و الفخامة و جودة اللهجة و الطلاوة » [2]، و هنا دليل على أن سمة الجهارة في الصوت من أعظم السمات التي ينبغي أن تتوفر بشخصية المتكلم كذلك أشار إليه في موضع آخر فقال :« و قد كان العباس بن عبد المطلب (جهيرا) جهير الصوت . و قد مدح بذلك ...» [3]، و يتضح هنا أن الناس كانوا يتفاخرون بأصحاب الصوت الجهير و يبدونهم قيمة عالية .

_ أهمية الأسنان في النطق : أشار الجاحظ إلى أهمية الأسنان في النطق فقال :« قال سهل بن هارون ، لو عرف الزنجي فرط حاجاته إلى ثناياه في إقامة الحروف، و تكميل آلة البيان ، لما نزع ثناياه » [4]، ثم نبه إلى الحاجة الماسة للأسنان بالنسبة للخطباء خصوصا، فقال : «... خطب الجمحي خطبة نكاح أصاب فيها معاني الكلام

1_ أبي الفتح عثمان ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج1 ، تح : حسن هنداوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، 2000 م ، ص 214.

2 _ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 91 .

3_ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 123.

4_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص 58 .

و كان في كلامه صغير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة ، فأجابه زيد بن علي بن الحسين بكلام في جودة كلامه ن إلا أنه فضله بحسن المخرج و السلامة من الصغير ...» [1]، ويتضح هنا أن الخطيب بحاجة ماسة للأسنان لكي يحدث تمام المعنى.

_علاقة مغارز الأسنان بالنطق : لم يكتف الجاحظ بربط أمراض الكلام بالأسنان وحدها إنما أرجعها أيضا إلى مسألة مغارز الأسنان فقال : « و قال أهل التجربة : إذا كان في اللحم الذي فيه مغارز الأسنان تشمير و قصر سمك ، ذهبت الحروف و فسد البيان ...» [2]، و قد ربط بتعريف هذا حصول البيان بسلامة الأسنان فإن وجد أي خلل فيها فسد البيان .

_دور اللسان في النطق : تطرق الجاحظ إلى أهمية اللسان فعده من أهم أعضاء النطق نظرا لحاجتنا البالغة إليه أثناء عملية النطق فقال: « قال و قال العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه و سلم: يا رسول الله ، فيم الجمال؟ قال: في اللسان » [3]،كما أشار أيضا إلى الدور الأعظم للسان في نطق أغلب الأصوات اللغوية ، فقال :« قال خالد بن صفوان : ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة ، أو بهيمة مهملة» [4]، و في هذا التعريف تجلي واضح لعظم مكانة اللسان في عملية النطق.

1_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص 58 _ 59 .

2_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص 61 .

3_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص170 .

4_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص 170

_مخرج الضاد : لعل أول ما يتبادر إلى الأذهان هو سبب انتقاء الجاحظ لحرف الضاد دون غيره من الحروف ، و السبب إنما يتمثل في كونه السمة التي تميزت بها اللغة العربية فسميت لغة الضاد ، و الدافع من وراء ذلك هو أن غير العرب يجدون صعوبة و مشقة في نطقه في مقابل ذلك ينطقه العرب بكل يسر و سهولة ، حيث : « و اعلم أن الضاد للعرب خاصة و لا يوجد من كلام العجم إلا في القليل »[1]، و بهذا يثبت انتماء الضاد للعرب دون غيرهم ، ثم إن الجاحظ أكد هذه الخاصية بقوله : « و النحاس يمتحن لسان الجارية ، إذا ظن أنها رومية و أهلها يزعمون أنها مولدة بأن تقول : ناعمة ، و تقول شمس ثلاث مرات متواليات »[2]، بحيث أنه يوضح هنا أن الرومي يستعصي عليه نطق الضاد في حين يسهل عليه نطق حرف السين و بهذا يتمكن من كشف هويتها الحقيقية ما إن كانت عربية أو رومية .

_تنافر الألفاظ و تنافر الحروف : اعتمد الجاحظ في تناوله هذه القضية على ما خلفه الخليل بن أحمد الفراهيدي ، حيث قال في ذلك : « و من ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر ، و إن كان مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه . فمن ذلك قول الشاعر :

1_ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج1 ، 214 .

2_ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 71 .

و قبر حرب بمكان قفر و ليس قرب قبر حرب قبر »[1].

و في هذا تأكيد على أن الكلمة إذا تجاورت مع غير ما من الكلمات بطريقة غير مرضية و موافقة كان حتما على اللسان اعتراضه مشقة و صعوبة في النطق ، كما أشار الجاحظ قائلا : « و أجود الشعر ما رأيته مثلا حم الأجزاء سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا ، و سبك سبكا واحدا ، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان »[2]، و يتضح هنا أن الجاحظ يستكره خاصية التنافر بين الألفاظ و الحروف و ذلك راجع إلى تعسر الأمر على اللسان .

4_ جهاز النطق عند الجاحظ : لقد أبدى الجاحظ اهتماما بالغا بدراسة جهاز النطق و أعضاءه ، و أضفى بمجهوداته مسائل صوتية لم يتطرق إليها أحد من قبله و ذلك دليل على سعة معرفته و اطلاعه في شتى العلوم و المعارف ، يرى الجاحظ انه لحدوث عملية النطق لابد من تدخل مجموعة من الأعضاء أهمها :

الحنجرة : عدت من أهم أعضاء الجهاز الصوتي ، إذ تناولها الجاحظ في كتابه البيان و التبيين في قوله : « قال أبو العاصي أنشدني أبو محرز خلف بن حيان ، وهو خلف الأحمر مولى الأشعريين في عيب التشادق :

1_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص65.

2_ نفسه ، المصدر السابق ، ص 67 .

له حنجر رحب و قول منقح و فصل خطاب ليس فيه تشادق»[1].

كما أشار الجاحظ على ترادف كلمتي الحنجرة و الغلصة في قوله : « قال صلى الله عليه و سلم : و عاب على الفدادين و المتزيدين في جهارة الصوت و انتحال سعة الأشداق ، و رحب الغلاصم، و هدل الشفاه »[2]، و قد استعمل في هذا التعريف كلمة الغلصة بدلا عن الحنجرة كونها لا تشمل الحنجرة فقط بل حتى ما جاورها ، كما أشار إلى حدوث جهارة الصوت من وراء رحابة الحنجرة و هو ما تميز به الجاحظ .

الحلق : مما لا ريب فيه أن الحلق مهم جدا في جهاز النطق كيف لا و هو مخرج للعديد من الأصوات اللغوية كالعين ، يؤكد الجاحظ على أهمية الحلق فيقول : « ووقع بين فتى من النصارى و بين ابن فهريز المطران كلام ، فقال له الفتى : ما ينبغي أن يكون في الأرض رجل واحد أجهل منك ! و كان ابن فهريز في نفسه أكثر الناس علما و أدبا و كان حريصا على الجثلقة. فقال للفتى : و كيف حللت عندك هذا المحل ؟ قال لأنك تعلم أنا لا نتخذ الجاثليق إلا مديد القامة، و أنت قصير القامة و لا نتخذه إلا جهير الصوت جيد الحلق، و أنت دقيق الصوت رديء الحلق» [3] ، و يتضح من خلال قول الجاحظ أن جهارة الصوت مرتبطة بسعة الحلق و من وراء سعة الحلق

1_ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص129,

2_ نفسه ، المصدر السابق ، ص13.

3_ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 124 _ 125 .

تكون الأصوات اللغوية حسنة المخرج.

الفم : و يقصد به ذلك الموضع الذي يتم بواسطته خروج أغلب الأصوات ، عبر عنه الجاحظ قائلا : « و كانوا يمدحون الجهير الصوت و يذمون الضئيل الصوت ، ولذلك تشادقوا في الكلام ، و مدحوا سعة الفم و ذموا صغر الفم » [1]، كذلك ذكر في موضع آخر إعجاب العرب بسعة الأشداق و ذمهم ضيق الأفواه : « و ذلك كقول الشاعر :

لحى الله أفواه الدّبى من قبيلة إذا ذكرت في النائبات أمورها » [2].

و شبه الجاحظ هنا الأشخاص الذين يتسمون بأفواه صغيرة الدّبى أي الجراد ، و منه يتضح أهمية كون المرء واسع الفم ، جهير الصوت .

اللسان : أخذ اللسان أيضا حظه من الاهتمام من طرف الجاحظ و عدّ من أعظم أعضاء النطق بروزا ، أورده في كتابه قائلا : « عقل الرجل مدفونة تحت لسانه » [3]،وكذلك ذكر في موضع آخر :« قال : قال الحسن : لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكر ، فإن كان له قال، وان كان عليه سكت، و قلب الجاهل من وراء لسانه، فإن هم في الكلام تكلم فيه أو عليه » [4] ، و يتضح بذلك أن اللسان إما أن

---

1 _ نفسه ، المصدر السابق ، ص 120 _ 121 .

2_ نفسه ، المصدر السابق ، ص 122.

3_ نفسه ، المصدر السابق ، ص 171 .

4_ نفسه ، المصدر السابق ، ص 172 .

يكون صديق صاحبه أو عدوه فإن هو تكلم و كان عالما بما يقول حصل تمام المعنى وإن كان جاهلا تلقى وإن تلقى ذم الناس و نفوره منه .

الأسنان : المقصود بها تلك الأعضاء الموجودة في فم الإنسان و تتوزع عبر فكيه السفلي و العلوي، تساهم بشكل كبير في حدوث النطق بطريق سليمة و ذلك بتدخلها في خروج العديد من الأصوات ذكرها الجاحظ في كتابه قائلا :« قال يونس بن حبيب في تأويله قول الأحنف بن قيس:

أتمتني فلم تنقص عظامي ولا صوتي إذا جَدَّ الخصوم

قال: إنما عني بقوله عظامي أسنانه التي في فمه، و هي التي إذا تمت تمت الحروف، و إذا نقصت نقصت الحروف »[1]، و كل هذا دليل على الأهمية البالغة للأسنان في النطق و إن أي خلل فيها يؤدي بالضرورة إلى تشوه و إحداث خلل في نطق الأصوات اللغوية . و لم يتوقف الجاحظ على هذه الأعضاء بل ذكر غيرها الكثير و نبه إلى ارتباط جهارة الصوت و بيان الكلام بسلامة أعضاء النطق.

5_الأصوات اللغوية :

لقد اعتمد الجاحظ في دراسته الأصوات اللغوية و تتبعها منهج خاصا قائم على الملاحظة والتجربة، ومن تتبعه للأصوات تمكن من معرفة أكثر الأصوات دوران على الألسنة ، كذلك لاحظ تميز كل لغة بحرف معين ، يقول : « و لكل لغة حروف

1 _ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 59 .

تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين و استعمل الجرامقة للعين » [1].

كما تطرق الجاحظ إلى دراسة مخارج الأصوات اللغوية و سلك في ذلك مسلكا مخالفا لسابقيه ، فقد تعمد تناول الأصوات اللغوية بالوقوف عند كل صوت على حدة و التعمق فيها لمعرفة مدى مساهمته في حدوث جهارة الصوت و بيان الكلام .

اهتم الجاحظ بدراسة مخارج الأصوات و عرض لذلك في كتابه قائلا :« و لما علم واصل بن عطاء أنه ألثغ فاحش اللثغ ، و أن مخرج ذلك منه شنيع ، و أنه إذا كان داعية مقالة ، و رئيس نحلة ، و أنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل و زعماء الملل ... و أن البيان يحتاج إلى تمييز و سياسة ، و إلى ترتيب و رياضة و إلى تمام الآلة و إحكام الصنعة ، و إلى سهولة المخرج و جهارة المنطق ...» [2]، و يقصد من ذلك ارتباط بيان الكلم بسلامة المخارج ، و أن المخارج أيضا بحاجة إلى تمرين و تدريب ، إضافة إلى أن الجاحظ تعرض إلى الأصوات اللغوية و تذوقها و مثال ذلك ما قال :

« فأما الضاد فليست تخرج إلا من الشدق الأيمن ، إلا أن يكون المتكلم أعسر يسرا ... » [3]، كما وصف الجاحظ اللغة العربية بكونها من اللغات السامية لأنها تضمن جميع الأصوات التي قد تنعدم في لغات أخرى و أكد ذلك قائلا : « قال الأصمعي :

1_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص 103 _ 104,

2 _ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص14.

3_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص109.

ليس للروم ضاد و لا للفرس ثاء ، و لا للسرياني ذال» [1]، و بذلك يكون الجاحظ قد برع في دراسته للأصوات اللغوية و الإشارة إلى مكانة اللغة العربية الراقية من خلال تفردها بأصوات لغوية لا تتواجد بغيرها .

6_عيوب النطق : لقد عرف الجاحظ أنه أديبا و مفكرا، شغل مختلف كتب و تراجم التراث العربي إضافة إلى ميله الشديد لناحية البلاغة و الفكر، غير أن ذلك لم يمنعه من الاهتمام بالأصوات اللغوية عند الإنسان و جهارة النطق و العيوب التي قد تعتريه فتؤثر على الأصوات و منه يختل الكلام و لا يحدث البيان في الخطاب، فالصوت حسب الجاحظ هو :« الصوت آلة اللفظ ، و الجوهر الذي يقوم به التقطيع و به يوجد التأليف ، و لن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا، ولا منثورا ،إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع و التأليف ، و حسن الإشارة باليد و الرأس ، من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون ، مع الإشارة من الدّل و الشكل ...» [2]،ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا مدى اهتمامه بالصوت و إعطائه مكانه راقية إذ به يتحقق التواصل وإن توفرت وسائل غيره إلا أنه به فقط يتحقق البيان. برع الجاحظ كما هو معروف دوما أثناء دراسته لعيوب النطق و محاولة إيجاد حلول لها انطلاقا من الملاحظة و التجربة الشخصية ، فالكلام الذي لا يتحقق به جهارة

1_ نفسه ، المصدر السابق ، ص.65

2_ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص79.

الصوت و فصاحة اللسان و طلاقته و بيان معاني الكلمات بوضوح دون الحاجة إلى التكلم و إجهاد النفس في إخراج الأصوات اللغوية يتضح فيه وجود عيوب في جهاز النطق أدت إلى إحداث خلل في مخارجها ،و لعل أهم هذه العيوب ما عرفه الجاحظ:

اللُثغة :تناولها الجاحظ بكثير من التفصيل فاعتبرها الحُبسة التي تراود اللسان ، فقال : « و يقال في لسانه حبسة ،إذا كان الكلام يثقل عليه و لم يبلغ حد الفأفأة و التمتام. و يقال في لسانه عقلة ، إذ تعقل عليه الكلام » [1]، و يقصد أن مرض اللثغة مقره اللسان فيشعر المخاطب أن في لسانه ثقل يحبسه عن نطق الأصوات بطلاقة و نسبة إلى الخطر الكبير الذي تحدثه اللثغة في تغيير المعنى المراد فبدلا من تخفيف الصوت يخرجه ثقيلا و بالغالب عدم توفر التنغيم المراد . لم يكتفي الجاحظ بتقديم مفهوم اللثغة و موضع حدوثها بل حدد أيضا الحروف التي تدخل عليها فقال:« ... و هي أربعة أحرف : القاف ، و السين ، و اللام ، و الراء» [2] ، ثم أردف ذلك محددا اللثغة التي تعرف للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاء، فإذا أراد أن يقول:« قلت له،قال:طلت له... و أما اللثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله: اعتللت اعتييت ، و بدل جمل جمى. وآخرون يجعلون اللام كافا ...و أما اللثغة التي تقع في الراء فان عددها يضعف على عدد لثغة اللام ، لان الذي

1_ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص39 .

2_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص34.

يعرض لها أربعة أحرف ...» [1] ، و بهذا حدد الجاحظ أهم الأحرف التي تطغى اللثغة فتغير من نبرتها فأما السين فتتحول عنده ثاءا، و القاف تتحول طاءًا و اللام تتحول ياءا أو كافا و الراء تتحول ياءا أو غينا أو ذالا، أو ظاءًا ثم إنه أصاب في قوله أن اللثغة تحرف البيان و تخلله.

اللُّكنة: يعرفها الجاحظ على أنها خاصة بأهل العجم إذ يقول :« ... و يقال في لسانه لكنة ، إذا ادخل بعض حروف العجم في حروف العرب، و جذبه لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول » [2]،فهو يؤكد على أن عيب اللكنة يصيب المعجم على وجه الخصوص و انه يمكن ملاحظة ذلك تلقائيا لما يبدو و عليه من ظاهر كلامه ، فيقول مؤكدا صحة كلامه:« ... ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيرا فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا و لو أقام في عليا تميم ، و في سفلى قيس ، وبين عجز هوازن ، خمسين عاما » [3]، يقصد أن الطفل الذي ينشأ و يترعرع على نحوها خصوصا في طريقة نطقه للأصوات اللغوية فإنه لا يمكن تغيير تلك العادة حتى و إن تكلم بغير لغته تجده يعاني من اللُكنه فلا يلبث إلا أن يعود إلى سجيته الأولى.

العُقلة : تناولها الجاحظ على أنها تلك الحُبسة ، التي تصيب اللسان فلا يقوى المتكلم

1_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص 35 _ 36 .

2_ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 39 _ 40 .

3_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص 70

على إنهاء كلامه ، و تعرض لها في كتابه بقوله :« يقال في لسانه عقلة ،إذ تعقل عليه الكلام » [1] ، أي إذا تعسر عليه الكلام و هذا المرض يؤدي إلى نقص سمة من سمات البيان و إحداث ملل في نفس المستعمل .

الحُكلة : الحُكلة في نظر الجاحظ توحي إلى وجود نقص في جهاز النطق تؤدي إلى عدم اكتمال صورة اللفظ يعرفها قائلا :« فإذا قالوا في لسانه حُكلة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق، وعجز أداة اللفظ ، حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال» [2] ،والحُكلة في مفهومها العام هي عكس اللكنة لان الحُكلة تأتي للعربي الذي تعلم لغة العجم فصار يدمج بعضها ببعض، قدم الجاحظ أمثلة عن وجود الحُكلة بقوله:« وقال رؤية بن العجاج:

لو إنني أوتيت علم الحُكل علم سليمان كلام النمل» [3] .

وهذا دليل على تأثر الصوت بالحُكلة فان المرء لا إراديا يجد نفسه يقع بها.

اللَّفف: يقصد به عيب عدم القدرة على ممارسة نقل الكلام يقول الجاحظ فيه:« قال أبو عبيدة : إذا أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو ألف ، و قيل بلسانه لفف .

و أنشدني لبي الزحف الراجز:

1_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص.39

2_ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص40.

3_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص 40 .

كأن فيه لففا إذا نطق من طول تحبيس و هم وأرق

كأنه لما جلس وحده و لم يكن له من يكلمه ، و طال عليه ذلك ، و أصابه لفف في لسانه » [1] ، و يعني بذلك أن اللفف نتاج لزوم صمت طويل حتى إذا نوى المرء الكلام أصابه ثقل و التواء في لسانه منعه النطق السليم .

لم يتوقف الجاحظ على طرح العيوب فقط إنما قدم الحلول اللازمة على صاحب هذه العيوب الإقتداء و العمل بها من أجل الشفاء ولعل أهمها التمرين و التدريس بحفظ كلام الله و كلام العرب حتى يطلق اللسان و تلين المخارج و يحدث البيان لقوله :« قال رسول الله صلى الله عليه و سلم عند ذلك : « إن من البيان لسحرا » [2] ، فينبغي متابعة التدريب و عدم التزام الصمت لأن ذلك يورث العيوب و يضيق المخارج فيجهل المرء طريقة حديثة .

1_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص 38 .

2_ الجاحظ ، المصدر السابق ، ص 53.

خاتمـــــــة

الخاتمـــــــة

وما يسعنا القول في ختام هذا البحث و من خلال الوقوف على أعظم منجزات الجاحظ كتاب " البيان و التبيين " الذي عد ثمرة من ثمار جهوده المبذولة في مجال الدراسات اللغوية و الأدبية أنه بذلك بلغ ذورة الإبداع خصوصا بتناوله الدراسات الصوتية و الإتيان بمباحث جديدة لم تعرف مسبقا ، و لعل أهم النتائج المتمخضة عن هذا البحث الموجز ما يلي :

_على الرغم من قساوة الظروف التي مر بها الجاحظ إلا أنه برع في تأليفه العديد من الكتب التي يعتز و يفتخر بها التراث العربي .

_ اعتمد الجاحظ في مؤلفه البيان و التبيين على دقة الملاحظة و التجربة الشخصية .

_ تميز أسلوب الجاحظ في كتابه بالاستطراد و الاضطراب في تناول الموضوعات ما أدى إلى تنوع مضامينه و تشبعها .

_يشكل كتاب "البيان و التبيين " أرضية خصبة و ركيزة أساسية للدرس الصوتي ، و ذلك لتضمنه قضايا صوتية هامة و لعل أهمها تجلى في إسهامات الجاحظ الصوتية، حيث عرض أكثر الحروف دورانا ، الصوت الجهير، أهمية الأسنان في النطق ، علاقة مغارز الأسنان بالنطق ، دور اللسان في النطق ، مخرج الضاد ، تنافر الألفاظ، تنافر الحروف .

_ تناول الجاحظ جهاز النطق بشيء من التوسع و التفصيل فعرض أهم الأعضاء المتدخلة في حدوث النطق : الحنجرة ، الحلق ، الفم ، اللسان، الأسنان ..

_اهتم الجاحظ بالأصوات اللغوية و كيفية حدوثها معتمدا في ذلك دراسة مخارجها و تتبع أثرها.

_استطاع الجاحظ الإشارة إلى العيوب التي يتعرض إليها المتكلم انطلاقا من ملاحظته الشخصية ، و لعل أبرز العيوب ما ذكر : اللثغة ، اللُكنة ، العُقلة ، الحُكلة ، اللَّفف .

_لم يتوقف على الإشارة إلى العيوب النطقية فحسب بل تمكن من اقتراح حلول لتجاوزها مؤكدا في ذلك على حفظ كلام العرب .

و في الأخير ما يمكن قوله على سبيل الإجمال أن للجاحظ دورا بارزا في الدراسات الصوتية و تطورها ، وما خلفه في كتابه البيان و التبيين و غيره من الكتب إنما بقي شاهدا على مر العصور لعالم أفنى عمره خدمة للغة العربية و نيل شرف دراسة البيان العربي و حدوثه ، و نرجو بذلك أن نكون قد قدمنا و لو لمحة عن هذا العلم الجليل الذي خلفه العالم العبقري الجاحظ .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- ✓ **ابن خلدون** ، المقدمة ، ج2 ، د.ت ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1933 .
- ✓ **إبراهيم أنيس** ، اللغة بين القومية و العالمية ، د.ت ، د.ط ، دار المعارف ، مصر .
- ✓ **إبراهيم أنيس** ، الأصوات اللغوية ، د.ت ، د.ط ، مكتبة نهضة مصر ، مصر .
- ✓ **إبراهيم أنيس** ، الأصوات اللغوية ، د.ت ، د.ط ، مكتبة الأنجلو مصرية ، 1999.
- ✓ **ابن منظور** ، لسان العرب ، د.ت ، د.ط ، دار صادرة ، بيروت ، 1957 م .
- ✓ **ابن منظور**، لسان العرب ، مادة (خرج) ، ج9 ، د.ت ، ط4 ، دار صادرة ، بيروت ، 2005 م .
- ✓ **ابن منظور** ، لسان العرب ، مادة لفف ، ج9.
- ✓ **أبو منصور الأزهري** ، تهذيب اللغة ، ج10 ، د.ت ، د.ط ، دار الكتب العلمية.
- ✓ أبي محمد ثابت بن ثابت ، خلق الإنسان ، تح : عبد الستار أحمد فراج ، ط2 ، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ، 1985 .
- ✓ **أبو علي الحسين ابن سينا** ، أسباب حدوث الحروف ، تح : محمد حسان الطيّان ، ط1 ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1403 هـ/ 1983 م .
- ✓ **أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ** ، البخلاء ، تح : محمد التونجي ، ط1 ، دار الجيل للنشر و الطباعة .

- ✓ **أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ** ،الحيوان ، ج5 ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ط2 ، مكتبة مصطفى البابي ، مصر .
- ✓ **أبي الفتح عثمان ابن جني** ، سر صناعة الإعراب ، ج1 ، تح : حسن هنداوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، 2000م .
- ✓ **أبي الهلال العسكري** ، الصناعتين الكتابة و الشعر ، تح : على محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، 1952 م .
- ✓ **برجشتراسر** ، التطور النحوي للغة العربية ، د.ت ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1994 .
- ✓ **بطرس البستاني** ، أدباء العرب في الأعصر العباسية حياتهم آثارهم ، نقد آثارهم ، د.ت ، ط1 ، مؤسسة هنداوي .
- ✓ **ثابت بن أبي ثابت** ، خلق الإنسان ، ط2 .
- ✓ **حنا الفاخوري** ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، د.ت ، ط1 الدار الجماهرية ، طرابلس ، ليبيا ، 1988.
- ✓ **حنا الفاخوري** ، الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، ج2 ، د.ت ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1991 .
- ✓ **سيبويه** ، الكتاب ، ج4 ، تح : عبد السلام محمد هارون ، د.ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1395 هـ / 1975 م .

- ✓ **طاش كبرى زاده** ، شرح المقدمة الجزرية ، تح : محمد سيدي محمد الأمين ، مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة ، 1421 هـ.
- ✓ **عبد الحليم محمد حسين** ، السخرية في أدب الجاحظ ، د.ت ، ط1 ، الدار الجماهرية ، طرابلس ، ليبيا ، 1988 .
- ✓ **فرديناند دي سوسير** ، علم اللغة العام ، تر : يوئيل يوسف عزيز ، آفاق عربية ، 1985 .
- ✓ **قاسم البرسيم** ، علم الأصوات العربي ، د.ت ، ط1 ، دار الكنوز الأدبية ، لبنان ، 2005 .
- ✓ **كاظم حطيط** ، دراسات في الأدب العربي ، مج: 1 ، د.ت ، ط1 ، الشركة العالمية للكتاب ، 1977.
- ✓ **كمال بشر** ، علم اللغة العام ، د.ت ، د.ط، مكتبة الشباب ، مصر .
- ✓ **كمال بشر** ، علم الأصوات ، د.ت ، د.ط،دار الغريب ، القاهرة ، 2000.
- ✓ **الخليل بن أحمد الفراهيدي** ، العين ، ج1 ، تح : عبد الله درويش ، د.ط ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1386هـ / 1967 م .
- ✓ **الخليل بن أحمد الفراهيدي** ، العين ، ج1 ، تح : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، د.ط .

- ✓ **الخليل بن أحمد الفراهيدي** ، العين ، ج1 ، تح : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، ط1 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، 1988.
- ✓ **الحاكم النيسابوري** ، المستدرك على الصحيحين ، ج2 ، تح : محمد عبد القادر عطاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1422 هـ / 2002 م .
- ✓ **الراغب الأصفهاني** ، المفردات في غريب القرآن ، د.ت ، د.ط ، دار الكتاب العربي.
- ✓ **مصطفى ديب** ، مختار الصحاح أبي بكر الرازي ، د.ت ، د.ط ، بيروت ، 1986 .
- ✓ **موقف الدين بن يعيش** ، شرح المفصل ، ج10 ، د.ت ، د.ت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
- ✓ **ماريوباي** ، أسس علم اللغة ، تر : أحمد مختار عمر ، جامعة طرابلس ، 1973 .
- ✓ **محمود السعران** ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د.ت ، د.ط ، دار النهضة العربية ، بيروت.
- ✓ **ياقوت الحموي** ، معجم الأدباء ، د.ت ، الطبعة الأخيرة ، دار المأمون ، القاهرة .

الفهرس

فهرس المعلومات

العنـــــــــــــــــــــــــــــــوان	الصفحة
إهداءات	2-3
مقدمة	أ-ج
❖ ***الفصل الأول*** : مفاهيم في الدرس الصوتي قبل الجاحظ	7
• مفهوم الصوت لغة و اصطلاحا	8
• مفهوم المخرج الصوتي	9
• مفهوم صفة الصوت	11
• الجهاز الصوتي	13
• عيوب النطق	16
• الصوت و البيان	19
• الدرس الصوتي قبل الجاحظ	21
❖ ***الفصل الثانـي***: الجاحظ و الدرس الصوتي في البيان و التبيين	28
• التعريف بالبيان و التبيين	32
• إسهامات الجاحظ الصوتية	35
• جهاز النطق عند الجاحظ	39
• الأصوات اللغوية	42
• عيوب النطق	44
❖خاتمة	61_62

❖ قائمة المراجع و المصادر	63